

## تفسير ابن كثير

هاتان الجنتان دون اللتين قبلهما في المرتبة والفضيلة والمنزلة بنس القرآن قال الله تعالى : { ومن دونهما جنتان } وقد تقدم في الحديث : جنتان من ذهب آنيتهما وما فيهما وجنتان من فضة آنيتهما وما فيهما فالأوليان للمقربين والأخريان لأصحاب اليمين وقال أبو موسى : جنتان من ذهب للمقربين وجنتان من فضة لأصحاب اليمين وقال ابن عباس { ومن دونهما جنتان } من دونهما في الدرج وقال ابن زيد : من دونهما في الفضل والدليل على شرف الأولياء على الآخرين وجوه : ( أحدها ) أنه نعت الأولياء قبل هاتين والتقدم يدل على الاعتناء ثم قال : { ومن دونهما جنتان } وهذا ظاهر في شرف التقدم وعلوه على الثاني وقال هناك { ذوات أفنان } وهي الأغصان أو الفنون في الملاذ وقال ه هنا { مدحه ممتاز } أي سوداوان من شدة الري من الماء قال ابن عباس في قوله { مدحه ممتاز } قد اسودتا من الخضراء من شدة الري من الماء وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبو سعيد الأشج حدثنا ابن فضيل حدثنا عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس { مدحه ممتاز } قال : خضراوان وروي عن أبي أيوب الأنباري وعبد الله بن الزبير وعبد الله بن أبي أوفى وعكرمة وسعيد بن جبير ومجاهد في إحدى الروايات وعطاء وعطية العوفي والحسن البصري ويحيى بن رافع وسفيان الثوري نحو ذلك وقال محمد بن كعب { مدحه ممتاز } ممتلئتان من الخضراء وقال قتادة : خضراوان من الري ناعمتان ولا شك في نضارتهما على الأشجار المشتبكة بعضها في بعض .

وقال هناك { فيهما عينان تجريان } وقال ه هنا { نصاحتان } قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس أي فياضتان والجري أقوى من النضح وقال الصحاح { نصاحتان } أي ممتلئتان ولا تنقطعان وقال هناك { فيهما من كل فاكهة زوجان } وقال ه هنا { فيهما فاكهة ونخل ورمان } ولا شك أن الأولى أعم وأكثر في الأفراد والتنوع على فاكهة وهي نكارة في سياق الإثبات لا تعم ولها فسر قوله : { ونخل ورمان } من باب عطف الخاص على العام كما قرره البخاري وغيره وإنما أفرد النخل والرمان بالذكر لشرفهما على غيرهما قال عبد بن حميد : حدثنا يحيى بن عبد الحميد حدثنا حصين بن عمر حدثنا مخارق عن طارق بن شهاب عن عمر بن الخطاب قال : جاء أناس من اليهود إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا : يا محمد أفي الجنة فاكهة ؟ قال : [ نعم فيها فاكهة ونخل ورمان ] قالوا : أفيأكلون كما يأكلون في الدنيا ؟ قال [ نعم وأضعاف ] قالوا : فيقضون الحاجة ؟ قال [ لا ولكنهم يعرقون ويرشحون فيذهبون ما في بطونهم من أذى ] وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي حدثنا الفضل بن دكين حدثنا سفيان عن حماد عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : نخل الجنة سعفها كسوة لأهل الجنة منها مقطعا لهم

ومنها حللهم وكريها ذهب أحمر وجذوعها زمرد أخضر وثمرة أحلى من العسل وألذين من الزبد وليس له عجم وحدثنا أبي حدثنا موسى بن إسماعيل حدثنا حماد هو ابن سلمة عن أبي هارون عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : [ نظرت إلى الجنة فإذا الرمانة من رمانها كالبعير المقتب ] .

ثم قال : { فيهن خيرات حسان } قيل المراد خيرات كثيرة حسنة في الجنة قاله قتادة وقيل : خيرات جمع خيرة وهي المرأة الصالحة الحسنة الخلق الحسنة الوجه قاله الجمهور وروي مرفوعاً عن أم سلمة وفي الحديث الآخر الذي سنورده في سورة الواقعة إن شاء الله تعالى أن الحور العين يغنين : نحن الخيرات الحسان خلقنا لأزواج كرام ولهذا قرأ بعضهم { فيهن خيرات } بالتشديد { حسان \* فبأي آلاء ربكم تكذبان } ثم قال : { حور مقصورات في الخيام وهناك قال : { فيهن قاصرات الطرف } ولا شك أن التي قد قصرت طرفها بنفسها أفضل من قصرت وإن كان الجميع مخدرات قال ابن أبي حاتم : حدثنا عمرو بن عبد الله الأودي حدثنا وكيع بن سفيان عن جابر عن القاسم بن أبي بزرة عن أبي عبيدة عن مسروق عن عبد الله بن مسعود قال : إن لكل مسلم خيرة ولكل خيرة خيمة ولكل خيمة أربعة أبواب يدخل عليه كل يوم تحفة وكرامة وهدية لم تكن قبل ذلك لا مرحات ولا طمحات ولا بخرات ولا ذفرات حور عين كأنهن بيض مكنون وقوله تعالى : { في الخيام } قال البخاري : حدثنا محمد بن المثنى حدثنا عبد العزيز بن عبد الصمد حدثنا أبو عمران الجوني عن أبي بكر بن عبد الله بن قيس عن أبيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : [ إن في الجنة خيمة من لؤلؤة مجوفة عرضها ستون ميلاً في كل زاوية منها أهل ما يرون الآخرين يطوف عليهم المؤمنون ] ورواه أيضاً من حديث أبي عمران به وقال ثلاثون ميلاً وأخرجه مسلم من حديث أبي عمران به ولفظه [ إن للمؤمنين في الجنة لخيمة من لؤلؤة واحدة مجوفة طولها ستون ميلاً للمؤمن فيها أهل يطوف عليهم المؤمن فلا يرى بعضهم بعضاً ] .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا الحسن بن أبي الربيع حدثنا عبد الرزاق أخبرنا معمراً عن قتادة أخبرني خليد العصري عن أبي الدرداء قال : الخيمة لؤلؤة واحدة فيها سبعون باباً من در وحدثنا أبي حدثنا عيسى بن أبي فاطمة حدثنا جرير عن هشام عن محمد بن المثنى عن ابن عباس في قوله تعالى { حور مقصورات في الخيام } قال : خيام اللؤلؤ وفي الجنة خيمة واحدة من لؤلؤة واحدة فراسخ في أربعة فراسخ عليها أربعة آلاف مصراع من ذهب وقال عبد الله بن وهب : أخبرنا عمرو أن دراجاً أباً السمح حدثه عن أبي الهيثم عن أبي سعيد عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : [ أدنى أهل الجنة منزلة الذي له ثمانون ألف خادم واثنتان وسبعين زوجة وتنصب له قبة من لؤلؤ وزبرجد ويماقوت كما بين الجابية وصنائع ] ورواه الترمذى من حديث عمرو بن العاص به وقوله تعالى : { لم يطمئن إنس قبلهم ولا جان } قد

تقدّم مثله سواء إلّا أنّه زاد في وصف الأوائل بقوله : { كأنهن الياقوت والمرجان \* فبأي آلاء ربّكما تكذّبان } .

وقوله تعالى : { متكئين على رفرف خضر وعقبري حسان } قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس : الررف المهابس وكذا قال مجاهد وعكرمة والحسن وقتادة والضحاك وغيرهم : هي المهابس وقال العلاء بن بدر : الرفوف على السرير كهيئه المهابس المتسللي وقال عاصم الجحدري { متكئين على ررف خضر } يعني الوسائد وهو قول الحسن البصري في رواية عنه وقال أبو داود الطيالسي عن شعبة عن أبي بشر عن سعيد بن جبير في قوله تعالى : { متكئين على ررف خضر } قال : الررف رياض الجنة وقوله تعالى : { وعقبري حسان } قال ابن عباس وقتادة والضحاك والسدي : العقري الزرابي وقال سعيد بن جبير هي عتاق الزرابي يعني جيادها وقال مجاهد : العقري الديجاج وسئل الحسن البصري عن قوله تعالى : { وعقبري حسان } فقال : هي بسط أهل الجنة لا أبا لكم فاطلبوها وعن الحسن رواية أنها المراافق وقال زيد بن أسلم : العقري أحمر وأصفر وأخضر وسئل العلاء بن زيد عن العقري فقال : البسط أسفل من ذلك وقال أبو حزرة يعقوب بن مجاهد : العقري من ثياب أهل الجنة لا يعرفه أحد وقال أبو العالية : العقري الطنافس المحملة إلى الرقة ما هي وقال القيسي : كل ثوب موسى عند العرب عقري وقال أبو عبيدة : هو منسوب إلى أرض يعمل بها الوشي وقال الخليل بن أحمد : كل شيء نفيس من الرجال وغير ذلك يسمى عند العرب عقريا ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم في عمر [ فلم أر عقريا يفري فريه ] وعلى كل تقدير فصّفة مرافق أهل الجنتين الأوليين أرفع وأعلى من هذه الصفة فإنه قد قال هناك : { متكئين على فرش بطائنها من إستبرق } فنعت بطائن فرشهم وسكت عن ظهايرها اكتفاء بما مدح به البطائن بطريق الأولى والأخرى وتمام الخاتمة أنه قال بعد الصفات المتقدمة { هل جراء الإحسان إلا الإحسان } فوصف أهلها بالإحسان وهو أعلى المراتب والنهايات كما في حديث جبريل لما سُأله عن الإسلام ثم الإيمان ثم الإحسان فهذه وجوه عديدة في تفضيل الجنتين الأوليين على الآخرين ونسأل الله الكريم الوهاب أن يجعلنا من أهل الأوليين .

ثم قال : { تبارك اسم ربك ذي الجلال والإكرام } أي هو أهل أن يجل فلا يعصي وأن يكرم فيعبد ويشرك فلا يكفر وأن يذكر فلا ينسى وقال ابن عباس { ذي الجلال والإكرام } ذي العظمة والكبارياء وقال الإمام أحمد : حدثنا موسى بن داود حدثنا عبد الرحمن بن ثابت بن ثوبان عن عمير بن هاند عن أبي العذراء عن أبي الدرداء قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : [ أجلسوا الله يغفر لكم ] وفي الحديث الآخر [ إن من إجلال الله إكرام ذي الشيبة المسلم وذى السلطان وحامل القرآن غير المغالٰي فيه ولا الجافٰي عنه ] وقال الحافظ أبو يعلى : حدثنا أبو يوسف الحربي حدثنا مؤمل بن إسماعيل حدثنا حماد حدثنا حميد الطويل عن أنس أن رسول

اَللّٰهُمَّ اَنْتَ عَلٰيْهِ وَسْلَامٌ قَالَ : [ أَلْظُوا بِيَا ذَا الْجَلَلَ وَالْإِكْرَامَ ] وَكَذَا رَوَاهُ التَّرْمِذِيُّ عَنْ مُحَمَّدٍ بْنِ غَيْلَانَ عَنْ مُؤْمِلٍ بْنِ إِسْمَاعِيلَ عَنْ حَمَادٍ بْنِ سَلْمَةَ بْنِهِ ثُمَّ قَالَ غَلْطٌ لِلْمُؤْمِلِ فِيهِ وَهُوَ غَرِيبٌ وَلَيْسَ بِمَحْفُوظٍ وَإِنَّمَا يَرَوِي هَذَا عَنْ حَمَادٍ بْنِ سَلْمَةَ عَنْ حَمِيدٍ عَنْ الْحَسْنِ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللّٰهُ عَلٰيْهِ وَسْلَامٌ .

وَقَدْ قَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ : حَدَثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ إِسْحَاقَ حَدَثَنَا عَبْدُ اللّٰهِ بْنُ الْمَبَارِكَ عَنْ يَحْيَى بْنِ حَسَانِ الْمَقْدِسِيِّ عَنْ رَبِيعَةَ بْنِ عَامِرٍ قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللّٰهِ صَلَّى اللّٰهُ عَلٰيْهِ وَسْلَامٌ يَقُولُ : [ أَلْظُوا بِذِي الْجَلَلَ وَالْإِكْرَامَ ] وَرَوَاهُ النَّسَائِيُّ مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللّٰهِ بْنِ الْمَبَارِكَ بِهِ وَقَالَ الْجَوَهْرِيُّ أَلْظُوا فَلَانَ بِفَلَانِ إِذَا لَزَمْهُ وَقَوْلُ أَبْنِ مُسْعُودٍ أَلْظُوا بِيَا ذَا الْجَلَلَ وَالْإِكْرَامَ أَيُّ الْزَّمْوَانِ يَقُولُ : الْإِلْطَاطُ هُوَ الْإِلْحَاجُ ( قَلْتُ ) وَكَلَاهُما قَرِيبُ مِنَ الْأُخْرِ وَاللّٰهُ أَعْلَمُ وَهُوَ الْمَدَوِّمُ وَاللَّزُومُ وَالْإِلْحَاجُ وَفِي صَحِيفَ مُسْلِمٍ وَالسَّنَنِ الْأَرْبَعَةِ مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللّٰهِ بْنِ الْحَارِثِ عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ : كَانَ رَسُولُ اللّٰهِ صَلَّى اللّٰهُ عَلٰيْهِ وَسْلَامٌ إِذَا سَلَمَ لَا يَقْعُدُ يَعْنِي بَعْدَ الصَّلَاةِ إِلَّا بِقَدْرِ مَا يَقُولُ : [ اللّٰهُمَّ أَنْتَ السَّلَامُ وَمِنْكَ السَّلَامُ تَبَارَكَتْ يَا ذَا الْجَلَلَ وَالْإِكْرَامَ ] .

آخِرُ تَفْسِيرِ سُورَةِ الرَّحْمَنِ وَالْحَمْدُ وَالْمَنَةُ